

الفصل الرابع

الحبيب ﷺ في عبادته

الحبيب ﷺ في الصلاة

وجعلت قرّة عيني في الصلاة

حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وتصف لنا السيدة عائشة رضي الله عنها طول صلاة النبي ﷺ فتقول: «كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ»، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: «لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟!» قَالَ: «أَفَلَا أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا» (رواه البخاري). كيف لا وهو القائل ﷺ: «وَجَعَلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» (رواه أحمد)، فقرّة عينه ﷺ وهو داخل في الصلاة، أي: قرّة عينه بصلته بربه وعبادته له وتبتله إليه.

وأما هديه ﷺ في صلاة الفريضة إذا أمّ المسلمين في المسجد، فكان ﷺ أخفّ الناس صلاةً على الناس، وكان ﷺ يراعي مصلحة المصلين خلفه فيرحمهم ويرفق بهم، وقد أوصى بذلك فقال ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ؛ فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَّةِ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ» (متفق عليه).

يروى لنا حذيفة رضي الله عنه حال النبي ﷺ في صلاته فيقول: «صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَاسْتَفْتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَقُلْتُ يَقْرَأُ مِائَةَ آيَةٍ، ثُمَّ يَرْكَعُ فَمَضَى، فَقُلْتُ يَخْتِمُهَا، ثُمَّ يَرْكَعُ، فَمَضَى حَتَّى قَرَأَ سُورَةَ النَّسَاءِ، وَالْ عِمْرَانَ، ثُمَّ رَكَعَ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، فَيَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ سَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ، يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى، لَا يَمُرُّ بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ وَتَعْظِيمٌ إِلَّا ذَكَرَهُ» (رواه البيهقي).

وفي رواية: «فَاسْتَفْتَحَ الْبَقَرَةَ لَا يَمُرُّ بِآيَةٍ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ اللَّهَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةٍ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ يَتَعَوَّذُ، ثُمَّ رَكَعَ فَمَكَثَ رَاكِعًا بِقَدْرِ قِيَامِهِ ..» (رواه أحمد).

يجسد لنا ذلك الحديث حب النبي ﷺ للصلاة والوقوف بين يدي الله تعالى .. فكان ﷺ أطول الناس صلاةً لنفسه، وإذا

ولربما دخل في الصلاة وهو ينوي الإطالة، فيسمع بكاء صبيٍّ، فيخفف من صلاته رحمةً بأمه، قال ﷺ: «إني لأقومُ إلى الصلاة، وأريدُ أن أطولَ فيها، فأسمعُ بكاءَ الصبيِّ، فأتجوّزُ في صلاتي كراهيةً أن أشقَّ على أمه» (رواه البخاري).



- رغم كون النبي ﷺ قد عُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فهو أكثر الناس قياماً بين يدي الله، فما دلالة ذلك؟ وماذا يجب علينا نحن؟
- قال ﷺ: «.. وَجَعَلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» فكيف تجعل الصلاة قرّة عينك؟
- لماذا كان النبي ﷺ أخفّ الناس صلاة على الناس، وإذا صلى لنفسه صلى حتى تتشقق قدماه؟!!

الخشوع في الصلاة

وكان ﷺ يحرص على الخشوع في الصلاة وسكينتها وتمام الصلوة بربه ويُعلّم أصحابه ذلك، فقد « دَخَلَ رَجُلٌ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِيهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ »، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ. فَارْجِعْ فَصَلِّ كَمَا صَلَّيْتُ، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ» فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)»، فَقَالَ فِي الثَّلَاثَةِ: «وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَحْسِنُ غَيْرَهُ فَعَلَّمَنِي». فَقَالَ ﷺ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَتَعَدَّلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ اجْلِسْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا» (متفق عليه).

فعلّم ﷺ صحابته الخشوع والطمأنينة في كل ركن من أركان الصلاة وجعلها شرطاً أساسياً لصحة الصلاة، فقال ﷺ: «لَا تُجْزِئُ صَلَاةٌ لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ فِيهَا صَلْبَهُ [ظَهْرَهُ] فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ» (رواه أبو داود)، واعتبر من لم يفعل ذلك سارقاً! قال ﷺ: «أَسْوَأُ النَّاسِ سَرَقَةُ الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ»، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ؟ قَالَ: «لَا يَتِمُّ رُكُوعُهَا وَلَا سُجُودُهَا» (رواه أحمد).

قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل لينصرف، وما كتب له إلا عشر صلواته، تسعها، ثمنها، سُبْعُهَا، سُدْسُهَا، خُمُسُهَا، رُبْعُهَا، ثُلُثُهَا، نُسْفُهَا» (رواه أبو داود والنسائي).



أليس من صلى سريعاً صلى؟! فلماذا عدّه النبي ﷺ لم يُصَلِّ؟!!

قال رسول الله ﷺ: «لا تُجْزَى صَلَاةُ الرَّجُلِ حَتَّى يُقِيمَ ظَهْرَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ» (رواه أبو داود).

ولحرصه ﷺ على السكينة والخشوع وتمام الصلاة بالله، حث أصحابه على الصلاة في الجماعة وأوصاهم بذلك فقال ﷺ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تَضَعُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ حَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ: إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً، إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَاةٍ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا أَنْتَظَرَ الصَّلَاةَ» (رواه البخاري)

رأى حذيفة بن اليمان رجلاً يصلي ولا يُتِمُّ رُكُوعَ الصَّلَاةِ وَلَا سَجُودَهَا، فَقَالَ لَهُ حَذِيفَةُ: «مَا صَلَّيْتَ! وَلَوْ مِتَّ وَأَنْتَ تُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَاةَ، مِتَّ عَلَى غَيْرِ فِطْرَةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ!!» (رواه البخاري).

وحثهم وهم في طريقهم إلى المسجد للصلاة، فقال ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فَأَمْسُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَاتِمُوا» (متفق عليه).

ولم يأذن حتى للرجل الأعمى الذي استأذنه فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَجُلٌ ضَرِيرٌ الْبَصَرِ شَاسِعُ الدَّارِ وَلِي قَائِدٌ لَا يَلَائِمُنِي، فَهَلْ لِي رُخْصَةٌ أَنْ أَصَلِّيَ فِي بَيْتِي؟» قَالَ: «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «لَا أَحَدُ لَكَ رُخْصَةٌ» (رواه أبو داود وابن ماجه)، بل وقال ﷺ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَّ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ أُخَالِفُ إِلَى مَنَازِلِ قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ فَأَحْرِقَ عَلَيْهِمْ» (متفق عليه).

عن عبدالله بن شقيق قال: «لم يكن أصحاب النبي ﷺ يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة» (رواه الترمذي)

فكان ﷺ يحذر أمته من عدم إتمام الصلاة وخشوعها وسكبتها وصلاتها في الجماعة فضلاً عن تركها، إذ كيف يترك مسلم الصلاة بربه ومناجاته والتضرع إليه؟! فقال ﷺ محذراً ومبيناً أهمية الصلاة: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ» (رواه أحمد).



- هل هناك عذر أو أعذار تجعل المسلم يترك الصلاة أو يؤخر صلاة عن وقتها؟
- كيف يجد بعض الناس رخصة في عدم الصلاة - والعياذ بالله - مع أن النبي ﷺ لم يجد رخصة للأعمى للصلاة في بيته؟!

كيف تقتدي به ﷺ

١. أكثر من الصلاة والسجود وداوم عليهما، واستمتع بالاتصال بالرحيم الكريم الجواد القريب المجيب سبحانه.
٢. الصلاة صلة بالله فأحسن صلتك بالعلي العظيم الكبير المتعال سبحانه يحسن إليك.
٣. تعلم صفة صلاته ﷺ فقد أمرك النبي ﷺ أن تصلي مثله فقال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» (متفق عليه).
٤. إذا وقفت في الصلاة فقف خاشعًا، واطرح الدنيا وراء ظهرك، واحرص على تمام الصلة بالله، وتأن وقف على رؤوس الآيات متفكرًا كما كان يفعل النبي ﷺ.
٥. إذا صليت وحدك فأطل وتبَّتل، وإذا كنت إمامًا فخفّف بالناس ولا تطل عليهم الصلاة؛ لثلاث تشق عليهم كما أخبر النبي ﷺ.
٦. أوامر زوجك وأولادك بالصلاة وحافظ عليها، واجعل لبيتك نصيبًا من صلاة النافلة كما كان هديه ﷺ.
٧. سارع إلى الصلاة في المسجد متى سمعت النداء، وحافظ على الصف الأول فهو أفضل كما علمنا ﷺ.
٨. إياك وتأخير الصلاة عن وقتها، حتى ولو صلاة واحدة! فأول ما ستحاسب عليه يوم القيامة صلاتك، فإن صلحت صلح سائر عملك.

